مكتب بد ورين!

لم يكنْ لـ(عبد الشكور) الموظفِ البسيطِ في السجل المدني في حياته أدنى اختيار... لم يشذُّ شيءٌ من حياته عن هذا المسار الذي رُسم له، ولا عن البرواز الذي يحيط به إطارُه... حتى اسمه الذي صارَ به في زمن طفولته الأولى "أمثولة"... بدا به نموذجًا لرجلٍ كبيرٍ في صورة طفلٍ! كان ثقيلًا على شفاهِ أصدقائه فيتخفَّفون من رهبة ذلك الاسم وثقله... ينادونه (شيكو)... (كوكو)... (شيشو)... أو شيئًا من هذا القبيل...

لم يكن الأبُ الصارمُ ليستطيب هذا التدليل "الماسخ" على حد قوله، فما أعزَّ الابنَ باسمِ الجدِّ الوقور ذي الثقل، والاحترام، والتبجيل... يترفَّعُ به عن كلِّ ما يشينه من براءة الأطفال، ولزوم اللعب، والتدليل... فبدا الطفلُ في ظلِّ هذا الاسم كبيرًا قبل أن يكبر...

وتمرُّ الأيامُ ويسيرُ (عبد الشكور) في مسيرة حياته التي غُلِبَ عليها قسرًا، وليكملَ فصولَ حياتِه المقررة في غير رغبةٍ منه أو اختيارٍ... بدا ذلك واضحًا في دراسته، وعمله، وزواجه، وفي سكنه في جوار الوالدين سنواتٍ في شقتهم القديمة بحكم أنَّه وحيدهما، وقد رحلا تباعًا فورث عنهما الإقامة

فيها مع الزوجة والأبناء... كانت الشقةُ صغيرةً ولديه من البنين والبنات خمسة...

كان مع رقَّةِ حاله وضيق بيته بسكانه اسمًا على مسمًى شكورًا شاكرًا... يحمدُ اللهَ دومًا أن وهبَه أربعةَ جدرانٍ وسقفًا تأويه وتأوي الأسرة، التي لا تتوقف عن التوسع والنمو في ظلِّ ظروفٍ ماديةٍ مقيدة لوظيفته الراكدة التي لا تعرفُ للنمو الطبيعي معنًى... اهتدى أخيرًا إلى فكرةٍ يحلُّ بها المشكلةَ التي كم أتعبته واتعبت الزوجةَ! استنبطها أنصحُ أولاده في زيارته للعبِ في حجرة ابن الجيران، ثم تلقَّفتها الزوجةُ لتَدوِي بها في أذني الأبِ ليلَ نهارَ...

لم يكنْ (عبد الشكور) ليدَّخرَ في وسعِه شيئًا يفرِّجُ به عن زوجته وأبنائه ويوسِّعُ عليهم... احتاج الأمرُ إلى "جمعية"، وما إن أكرمه الله بتدبيرها وتقاضي مبلغها حتى أتى بالحلِّ العبقري... السرير أبو دورين!! فكرةٌ أتتْ تسعى إلى أرض الواقع... ليتحقَّقَ التوسُّعُ الرأسيُّ للنمو السكاني المطرد في شقته بعد أن ضاقَ البيتُ بالتوسع الأفقي!

نصبَ السريرَ بدوريه في موضع الحجرة الصغيرة التي لا تتسع جانبًا لسريرٍ غيره، في حين أبقى الرضيعَ إلى جانب أمِّهِ ينتهكُ بصراخه المستمر سكون ليله، في الحجرة التي تجمعه بالزوجة في فراشٍ أصبحَ مجرد مروره من

أمامه يفزعه... يخشى تكرار تجربة الإنجاب بعد أن فاجأته الزوجةُ بخمسة بينهما توأمين من الذكور ومثلهما من الإناث!

كان عملُه الصباحيُّ صورةً مماثلة، بل وأكثر وضوحًا في الزحام والتكدس... عددٌ من الحجرات الضيقة يتوسطُ إحداها مكتبُه المتواضع يحاصره من جهاته الأربع كثيرٌ من المكاتب المتواضعة مثله... وإن كان مكتبه صغيرًا لا يرتقي إلى كلمة مكتب! فأين هو من مكتب السيد المدير العام الذي ينفردُ بحجرةٍ قاصية بعيدًا عن زحام العملاء وضجيجهم...

وذات صباح أقبلت زائرة... شابةٌ صارخةُ الجمال مثيرةٌ في كامل زينتها وتألُّقها... تلقَّفتها نظراتُ الموظفين نساؤهم قبل رجالهم... كلٌّ له نظرةٌ تتنوع بين النقد اللاذع وبين الاستمتاع بالجمال... ظهرت آثارُ المفاجآة واضحةً أكثر في أعين النساء... غمز ولمز... استهجان واستنكار... تأفُّف وسخط... أما الرجال فقد ارتسمت على وجوههم ملامحٌ متوترةٌ من البلاهة والتوهان في حين اشتعلت داخلهم خفيةً رغبةٌ محمومةٌ ملتهبةٌ!

لم تكن الزائرةُ المفعمة بالشباب والفتنة مجرد عميلة كغيرها ممن يترددن على المكان بوفرة، وإنَّما كانت زميلتهم الجديدة!

رمقها (عبد الشكور) بمشاعرٍ متناقضةٍ جمعَ فيها بين الاتجاهين... صورة بادية على وجهه كضجر الزميلات المتحفظات تجاه زميلتهن الوافدة

التي بالغت في الزينة وكأنَّها في عرض أزياء، بينما كان قلبُه يرقصُ طربًا على نغمات خطاها، شأن زملائه الرجال الذين اختطفتهم الأنوثة المتفجِّرة التي تعكسها ملابسها القصيرة المثيرة، والرقَّة التي يمتزجُ أريجُها مع كلِّ حرفٍ ينسابُ في عذوبةٍ من بين شفتيها...

وبعد التعارفِ بين الزملاء جاء دور الجولة الإرشادية التي قادها السيد المدير بنفسه... بدا فيها كترجمان صعيدي بعمته وجلبابه يصحب سائحة دانمركية شقراء بيضاء ملفوفة القوام متوردة الخدين... ثم اكتفى السيدُ المديرُ الذي غادر مكتبه - ولا يغادره إلا لكبيرٍ- مضطرًا بما لمحَ من مطاردةِ نظراتِ العاملين التي تهافتت عليها تهافت الذباب على الحلوى المكشوفة، إلى أن تحلَّى ببعض الانضباط لزوم الوقار والسنِّ، فطوى النفسَ على رغباتٍ مكبوتةٍ يتحررُ معها ولو للحظاتٍ في الخيال من عشرة ربع قرن من الأشغال الشاقة في سجن الزوجة!

كان من المفترض أن يكونَ للوافدة الجديدة مكتبٌ إلى جوار مكاتبهم التي تغصُّ بها الحجرةُ الضيقةُ، وقد أصرَّتْ عليه وتمسَّكت بحقِّها مثلهم في خصوصية المكتب ذي الأدراج التي تُفتحُ وتُغلقُ وفق مشيئتها وحدها، كما هو الحال عندهم!!

ومن جديد يتصارعُ الحزبان المؤيد والمعارض، وبالطبع كان رجالُ المكتب هم أعضاءَ الحزب الأول، بينما كان عامةُ أفراد الحزب الثاني ومؤسسوه هم النساء اللائي حركتهن تجاهها الغيرة، أو مسلك التحفُّظ الذي يحملُ في باطنه عجزهن عن مجاراتها في إبراز معالم الأنوثة، وقد تخطَّتْ أصغرُهُن مثل ضعف سنها...

صمتَ (عبد الشكور) انتظارًا لما سينجلي عنه الموقف... لا تتخطَّى عزومتُه هو من حوله "عزومة المركبية" فمن ذا الذي يفرِّط في مكتبه، إلَّا في حالة واحدة أن تشاركه فيه الحسناءُ صاروخيةُ القوام!

قفزَ في عقله الحلُّ فجأةً بالقياس إلى الحلِّ الذي أنهى مشكلتَه مع الأولاد بالأمس:

"لماذا لا نطبِّقُ فكرةَ السرير ذي الطابقين في العمل على المكاتب؟! سيكون حلًّا عبقريًا يعالج التكدس والزحام هناك!"

توارت في خياله خجلًا صورتُها وهي جارته في المكتب ذي الطابقين... وسواءٌ أكانت تشغلُ الطابق العلوي أم السفلي فكلاهما يضمنُ لبصرِه النهمِ الاتصالَ بمفاتنها المثيرة... أسرعَ ليخفي هذه الفكرة في باطن عقله... دثَّرها بغطاءٍ ثقيل الظلِّ من اللامعقول!!

انطلقَ إلى بيتِه يمنِّي نفسَهُ بأيامٍ سعيدةٍ مقبلةٍ مع القمرِ الذي سكنَ إلى جواره يتصبَّرُ في أحلامه بليلةٍ تشرقُ في صباحها شمسها على قلبه، لكنَّ أحلامَ الليلِ تبدَّدت مباشرةً حينما دخلَ مقرَّ عملِه! كانت الحجرةُ خاليةً من المكتب الذي عاشرَه سنواتِ عملِه الطويلِ! علمَ أنَّ الوافدةَ الجديدةَ استولت على مكتبه بأمرِ المدير العام لتستقرَ به إلى جواره...

لم تعد عينا (عبد الشكور) تقعُ عليها إلا نادرًا، كما لم يعد يهتمُ إلَّا بمحاولةِ الحصولِ على مكتبٍ جديدٍ بدلًا من الذي انتُزع منه حتى لو شغلَ طابقًا ثانٍ لمكتب أكثر شخصٍ يضيقُ به من بين زملائِه...

*****